

الخميس 21-07-2011

1420-قراءة في كراسات التدريب



قراءة:  
في كراسات التدريب  
(نجيب محفوظ)

مقدمة:

كلما جلست أفك شفرات هذا النص النادر، تجنبت أن أسبق الدور وأنظر في أية صفحة تالية، حتى أنني أجنب أن أسأل السكرتارية كم صفحة بقيت، بل كم كراسة علينا أن نقرأها معا. ذلك لأنني عادة أخشى تكرار النص الذي كتبه شيخنا.

من أين يأتي هذا الرجل بالجديد هكذا، ومن أين بكل هذه الطزاجة هكذا؟

وأيضاً أجدني أخشى البعد عن النص بوفرة استطراداتي استلهاما وتداعيا.

ما أن أبدأ في "القراءة" حتى أجد كل شيء جديد، حتى لو تكرر بعض النص، فأنا أعتقد أن نجيب محفوظ لا يكرر أبداً، المبدع يقول نفس الكلمات وهو في حال مختلف، يقول "صباح الخير" اليوم، غير "صباح الخير" غداً، مع أنها نفس الكلمات، وهكذا.

تذكرت قراءتي النقدية لفقرة في أصداء السيرة، نبهنا فيها محفوظ بأهمية وسحر كلمات بسيطة لا وزن لها في ذاتها مثل "أنت".." فيم تفكر"، ولكن دعونا نقرأ الفقرة كلها على بعضها:

الفقرة 28 من أصداء السيرة

78 - البلاغة

قال الأستاذ " البلاغة سحر" فأما على قوله ورحنا



إحداها بعنوان "أهار المسعى السبعة: حيث جاء فيها  
....."

### قال النهر الرابع

لو أن السعى تناغم بعد السعى إلى السعى  
لرجعنا أظهر من طفل لم يولد بعد  
لا نتكاثر بالعدّة والعدّ

ولعاد المعنى

ملاً وجه الكلمة

"يهتز الكون

لو يعنى القائل "أهلاً"

أن "أهلاً"

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

لكل داء دواء

إلا الخماقة أعيّت من يداويها

ان بعد العسر يسرا

ربنا ارحمنا واعف عنا

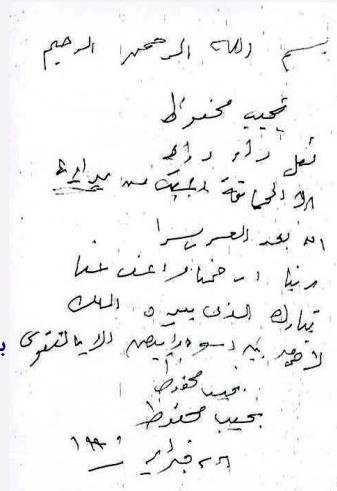
تبارك الذى بيده الملك

لا فرق بين أسود وأبيض الا  
بالتقوى

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ

26 فبراير 1995



### القراءة:

....الخط أعمل، والقراءة أسهل

حين قرأت بعد البسملة ...، واسمه، ..... السطر الأول  
حسبت أنه يتعلق بالحالة الصحية التي امتحننا الله بها، والتي  
يمكن أن يوصف موقفه منها بأى وصف إلا اليأس، وتصورت أنه  
يصبر نفسه بهذه الحكمة المختصرة، لكنني حين انتقلت إلى السطر  
التالى وجدت أن البيت الأول ليس إلا شطر بيت شعر اكتمل في  
السطر الثانى، فعرفت أن السطر الأول لم يكن "جكّمه" مستقلة  
وإنما كان شطر بيت المتننى الذى يقول:

## لكل داء دواء يُسْتَطْبُ به إلا الحمافة أعيت من يداويها

وحين ذهبت أستشير عمنا "جوجل" وجدت معظم ما جاء تحت هذا الشطر، أو البيت كله، هو مواقع طبية أغلبها وصفات شعبية، أو مفاتيح صحية، أو علاج بالرقى أو القرآن أو حتى بالأدوية والطب الحديث، وتعجبت أن يُجمع الجميع - تقريباً - أن يصنفوا هذه المواقع ببعض ما يفيد "الشطر الأول" (لكل داء دواء)، دون بقية البيت، مع أن الشاعر لم يقل الشطر الأول إلا مقدمة ليكملة بالشطر الثاني، ليصف الحمافة المستعصية على العلاج، لا ليعلن أنه لكل داء دواء!!

انتقلت من هذا الاختزال السخيف في تلك المواقع الصحية إلى بعض أصل ما جاء في "الحمافة" فوجدت إماما يوصفها من كل جوانبها، واستشهادات طريفة وسخيفه توضح أبعادها، ومترادفات تربو على الأربعين، منها ألفاظ غريبة في رسمها ونطقها حتى ضحكت وأنا أقرأها، مترادفان مثل: **الأحمق: الأزبق، الهلجاجة، الهجأة، الجعبس.....** إلخ. عدت أفرح بلغتي الفصحى القادرة التي أضاعها أهلها حين ضاعوا، ما كل هذه الدقة والإبداع، أرجوك إقرأ أى لفظ من هذه المترادفات بصوت مرتفع، قل مثلاً: فلان "أزبق" أو فلانه "هلجاجة"، وسوف تعرف تلقائياً أنه "أحمق"، وأنها "حمقاء".

لن أتوقف على علاقة الاستاذ بالمتنى ومدى إعجابه به، بل وحيه له ودفاعه عن علاقته بسيف الدولة وهو يصحح لي موقفي منهما الذى لم يتصحح، وقد سبق أن تناولت ذلك من قبل.

أيضا : توقفت قليلا عند قول الخليل بن أحمد: الناس أربعة:

"رجلٌ يدري و يدري أنه يدري فذاك عالمٌ فخذوا منه

... و رجلٌ يدري و هو لا يدري أنه يدري فذاك ناسٌ فذكروه

... و رجلٌ لا يدري و هو يدري أنه لا يدري فذاك طالبٌ فعلموه ...

و رجل لا يدري و لا يدري أنه لا يدري فذاك "أحمق" فارفضوه ..."

وحين رحت أتأمل وصف الخليل للأحمق بأنه "الذى لا يدري ولا يدري أنه لا يدري"، ففزرت إلى عدد من رؤساء دولنا والأساتذة والعلماء المتخصصين، وقلت: ربنا يستر ألا أكون من بينهم! من أدراقي؟

أما الشعر الذى أعجبنى في وصف صعوبة تصحيح الحمق باعتباره صفة مستعصية فهو ما قاله أحد الشعراء

اتقِ الأحمق أن تصحبه \*\*\* إنما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقت منه جانباً \*\*\* خرقته الريح وهنا فاخرق  
أو كصدع في زجاج فاحش \*\*\* هل ترى صدق زجاج يرتق  
كحمار السوق إن أفضمته \*\*\* رَمَحَ الناسَ و إن جاعَ نهق  
أو غلام السوق إن أسغبتهُ \*\*\* سرق الناسَ و إن يشبع فسق  
و إذا عاتبته كي يرعوي \*\*\* أفسد المجلس منه بالخرق

صورة متكاملة شديدة الجمال وهي تصف سمة شديدة القبح

ثم أخفني جوجل بالإشارة إلى: كتاب كامل لابن الجوزي بعنوان "أخبار الحمقى والمغفلين"، وقد ألفه بعد انتشار كتابه "أخبار الأذكىاء"، واشتمل عينات من مختلف شرائح المجتمع وابن الجوزي هذا معمر علامة بالغ التدفق في التأليف، مات وهو ابن مائة وخمس عشر سنة إن صح رأى ابن قنفذ في ترجمته.

رحت أتساءل ما هو المقابل للفظ الخماقة بالعامية المصرية، "الأحمق"؟ هل هو الأهوج، الأرعن، المهفوف؟ الهايف؟ الطايش؟ الطايح؟ الأهل؟ الأئي كلام؟ ولكن أيا من هذه الألفاظ لم تملأ وعيى مقارنة بحالى مع المترادفات بالفصحى.

أيضا رحى أبحث عن ما يقابل الحمق والأحمق بالإنجليزية، فلم تصلنى إلا ظاهر الصورة، أو خطوط السمة أو درجة الذكاء، وتأكدت من أن لغتى الأم، هى القادرة وحدها على توصيل مضمونها إلى مجمل وعيى،

لم يصلنى أيضا أى حمق حين قرأت بعض ما يقابله بالإنجليزية مثل:

Stupidity Silliness Foolishness (Wrath) Anger Idiocy etc...

ابتعدت عن هذه المعانى المطلقة وعدت أسأل نفسى بعيدا عن شعر المتنبي الذى ورد فى النص:

\* \* \*

والآن: ما علاقة نجيب محفوظ بالحمق والخماقة والأحمق

من ناحية أنا لم أر منه إلا عكس كل ما هو حمق بكل لغة، حتى أغاظنى ذلك، بل إننى كنت أعجب دائما من تحمله الزائد عن الحد لبعض الأصدقاء أو الزوار الذين تصورت أننى أعدمهم من الحمقى الذين يحضرون مجلسه، بل أحيانا كنت أدهش من تحمله لبعض مواقف شخصيا التى قد توصف بالتجاوز أو بالحمق، وحين كنت أتصور أنه بهذا التقبل وذاك التسامح إنما يعلمو فوق الموقف، أو فوق الأحمق تفويتا أو تهويناً، كنت أكتشف خطئى المرة تلو المرة حين أتأكد أنه يجترمنا بجمقنا فى داخل داخله مهما شط حمقنا الأحمق، اللهم إلا إذا حق أذى بآخر من خلال ذلك، ومع ذلك فلم يكن شيخنا ينهر الأحمق صراحة، وإنما كان يلطف الجو، أو يحول الحديث، ما أمكن ذلك.

أما عن صفة الحمق عنده هو، فقل ما شئت في غيابها الظاهر، فكما قلت أنا لم أره كذلك أبداً، وتعجبت، فعندى أنه لا توجد فضيلة كاملة إلا إذا اختلطت مع نقيضها في مستوى ما بشكل ماء، غياب الحمق عند الأستاذ، هكذا، بدا لي ضد هذا الفرض الذى يساعدني في مهنتي، ويعرفني على نفسي، هل يمكن أن نصف ما عند الأستاذ بأنه ضد الحمق، أو "اللامهارة"؟ بصراحة لم أستسخ ذلك، "اللامهارة" -عندى- قد لا تكون فضيلة إلا أن يكون ضدها ممكناً أو وارد، أى أنها لا تكون فضيلة إلا عند من يستطيع صاحبها أن يكون أحمقاً، وهو يمنع عن ذلك، هذا النوع الإرادى من الهماقة النادرة هى مكملة للهامقة الفضيلة، التى تنفى اللامهارة المسطحة.

فهل يا ترى كان نجيب محفوظ قادراً بإرادته بعض الوقت على بعض الهماقات؟

الإجابة عندى دون حسم هى بالإيجاب، :نعم". وهذا ما يشجعني على نفى الهماقة الحمقاء من طبعه كلبية، واثباتها كفضيلة قوية إرادية طيبة، ذلك أننى في أحيان نادرة، كان يصلني من طرف بعيد أثناء حكي بعض ذكرياته مع أحمد مظهر أو توفيق صالح، يصلني بعض تفاصيل احتفالات الخرافيش الأسليين مثلاً بعيد ميلاد أحدهم في خيمة استأجروها تحت سفح الهرم، وقد كنت أتعمد ألا أسأل عن تفاصيل أى من ذلك، مهما بلغ حب استطلاعى، فأكتفى بما يصلني من طرف حديثهم عنه.

**خلاصة القول:** يبدو أن الهماقة تصبح مزية إذا كانت مؤقتة ومقصودة لأنها تكون بمثابة نوع من التفكير الإرادى أو شبه الإرادى دون أن يتشكل في إبداع، وأيضاً دون أن يتمادى في حماقة سلبية، وهى التى وردت في بيت المتنئ:

**لكل داء دواء يستطبُّ به إلا الهماقة أعت من يداويها**

**وبعد**

لم ننته إلا من قراءة سطر واحد، بيت شعر واحد من تدريب اليوم

لو أكملنا قراءة النص فسوف ننتقل إلى موضوع آخر تماماً؟

أليس من المناسب أن نتوقف عند هذه المرحلة، ونكمل -لأول مرة - بقية صفحة التدريب الأسبوع القادم؟ خاصة وقد شعرت أننا تعلمنا على يديه جرعة دسمة مستقلة، عن الهماقة، يستحسن أن نحافظ على استقلاله هكذا حتى نستوعبها بحقها؟

....

....

**شكراً يا شيخنا**

تظل تعلمنا حتى لا ننسى فضلك، مع أنه احتمال غير وارد.

.....

الفقرات التالية في نفس الصفحة تقول :

إن بعد العسر يسرا

ربنا ارحمنا واعف عنا

تبارك الذى بيده الملك

لا فرق بين أسود وأبيض الا بالتقوى

\*\*\*

أستأذنكم أن نتعاطاها جميعا في الأسبوع القادم